

مكتبة لفتة مضاعفة

بتجربة ضخمة أكرمت صلاحيتها
... ولما كنا في حاجة إلى لغة أجنبية

للاستاذ عبد العزيز حسين

الكويت .

عن جلّه كل اللغات فيما نعلم ، واللغة العربية ذاتها استغنت عنه في حالة الوقف ، كما ان جميع اللهجات العامية العربية لم تعد تنتهجه ، مما يدل على أنه قد آن الاوان لدراسة امكانية اعادة النظر لمحاولة تخفيف هذا العبء الكبير على متعلم العربية .

ان امام المهتمين بنشر اللغة العربية ان يجدوا حولا تسهل لتعلمها ان يكتب كتابة صحيحة وينطق نطقا صحيحا دون تلك المعاناة الشاقة التي نجدها اليوم في استعمال الشكل في الكتابة وفي الدراسة المضنية للنحو والصرف ، وهما علمان يقتضي اتقانها بذل جهد كبير يمكن انفاقه فيما هو اجدى على المتعلم.

هذا الى ان المتعلم العربي يقاسي نوعا من ازدواجية اللغة طرا بالاختلاف بين العامية والفصحى، ورغم علمنا ان هذا الاختلاف ستخف وطأته بانتشار التعليم حيث ثبت ان العربي المتعلم ينطق لغة اقرب الى الفصحى من الامي ، فاننا لاحظنا ان هناك اختصارا وحذفا اجمع عليهما المتعلمون والمثقفون في مخاطبتهم بالعامية المتميزة عن عامية غير المتعلمين ، وهذا يسهل علينا دراسة عملية التطور الطبيعية للغة اذ نعرف من اتجاه المثقفين العرب في النطق ما هو خليق بأن يدرس امر حذفه او تخفيفه من قواعد اللغة التي تعوق عملية التعليم ، وتكون هذه الدراسة سبيلا الى مزيد من تقريب هذه العامية المتميزة الى العربية الفصحى .

وسواء كانت الحلول التي ندرسها لتسهيل تعليم العربية هي في ادماج الشكل في صلب الكلمة بصورة ما ، او في ايجاد قواعد أخرى لتيسير الكتابة والقراءة او تبسيط النحو والصرف ، او في دراسة التطور الطبيعي للغة وما يستدعيه هذا التطور من

1 و 2 - من اهم المشكلات التي يعانيها متعلم العربية مشكلة الكتابة ومشكلة الاعراب . فلقد بدأت العربية رموزا غير منقوطة وغير مشكلة ، تقرا بالمقارنة والاستنتاج في كثير من حروفها المتشابهة حسب مواقعها من الكلمة او الجملة ، ثم تطورت بالنقط التي اصبحت اجزاء من الحروف لا غنى عنها . على ما في النقط من تعويق لسرعة الكتابة . وبقي الشكل الذي يحتاج الى معاناة غير يسيرة لازما لضبط الكلمات ولتجنب المتعلم الوقوع في الاخطاء اللغوية .

ورغم ان من مميزات لغتنا اقتصارها على حروف علة ثلاثة ، فانها لا تستعمل الا في المبدأ الطويل ، وفيما عدا ذلك فان الكلمات العربية مقصورة على الحروف الصامتة التي تجعل القراءة عملية غير مبسرة ، وتجعل لكل كلمة احتمالات نطق متعددة ، لذا فان استعمال الشكل كثيرا ما يكون ضرورة للمتعليم حتى يستطيع النطق بالكلمات حسب المقصود منها ، ولكن استعمال الشكل في الكتابة في الوقت ذاته اجراء يقتضي تهلا شديدا في الكتابة لا يتفق مع مستلزمات السرعة المطلوبة فيها .

وقد استبقت اللغة العربية اعراب اواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل مما يقتضي تفهما دقيقا لقواعد اللغة ودراسة للنحو والصرف ليست باليسيرة .

وحيث ان المعاني تتغير حسب الاعراب فبان الشكل المضبوط ضرورة للنطق الصحيح والفهم الصحيح لتعلم العربية الجديد .

واعراب اواخر الكلمات قد استغنت عنه او

اختصار وتبسيط أو غير ذلك من الأمور ، فإن من الزم اللازم ألا يتودنا هذا التغيير إلى التفكير في استعمال الحروف اللاتينية كما فعل أتاتورك في تركيا ، أو ادخال تغيير يقتضي على صلتنا بترائنا العظيم ويفصلنا عن ثروتنا العلمية الضخمة .

إن الحلول التي نرجوها نأمل أن تقترب في أذهان المفكرين فيها بضرورة استمرار الصلة بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا بحيث لا يكون في تطور الكتابة قطع لصلتنا بذلك الماضي وبحيث يستطيع المتعلم العربي أن يعود لذلك التراث لينهل منه متى أراد .

3 و 4 و 5 — لقد بدأ معظم التعليم الجامعي في الوطن العربي في ظل حاكم دخيل ، كما أن هذا التعليم بفهمه الجديد دخل البلاد العربية وهي في غير مكانها المناسب من التقدم العلمي واستعملت اللغات الأجنبية وسيلة للتعليم لأنها لغات الحكام ، ولأنها لغات الحضارة الجديدة القادمة من الغرب .

ولسنا بصدد الحديث عن قرون الظلام التي عاشتها الأمة العربية تحت مختلف السيطرات الأجنبية ولا عن التخلف الذي قاسيناه وأسبابه ، بعد عصور شهدت للعرب علما وفنا وأدبا تعتبر من الأسس الأولى لقيام حضارة الغرب التي نحاول اللحاق بها بكل طاقاتنا الحالية ، ولكننا نحس أن نشير إلى أن مبدأ التشكيك في صلاحية اللغة العربية لتدريس الجامعي من المخلفات التي تركها لنا التخلف والسيطرة الأجنبية ، حتى أصبح هذا الشك شبه يقين عند بعض المثقفين العرب .

لقد اتنع الغرب الكثيرين منا في يوم من الأيام أن البلاد العربية لا تصلح للصناعة ولكنها تصلح لانتاج المواد الأولية التي يصنعها الغرب ثم يعيد تصديرها إلينا .

اللغة العربية في نظرنا لغة صالحة لكل الصلاحية للتدريس الجامعي ، لأنها لغة حضارة ، مرت بتجربة ضخمة عندما تصدت للتعبير عن كل خلجات الإنسان بأعق ما تصدى له لغة من اللغات ولأنها استوعبت علوم العرب في أوج نهضتهم ، ولأنها هضمت الانتاج الفكري لحضارات أخرى وعبرت عنها فلم تعجز عن التعبير .

وعندما اشتغل علماء العرب بالطب والفلك والرياضة والجبر والهندسة ، وعندما كتبوا في

المنطق والفلسفة وعندما بحثوا في الموسيقى والفنون الأخرى المختلفة ، لم تقف العربية عاجزة دون أن يفوقوا في ذلك ، ودون أن يدونوا أسفارا كان الغرب في بدء يقظته سريعا إلى الاستفادة مما فيها من كنوز ومن معرفة ، وما زال الكثير الباقي منها شاهدا على قدرة اللغة العربية على غزو كل جديد والتكيف للظروف الحضارية المتطورة .

إن أولئك الباحث والعلماء العرب لم يقنوا من العربية باعتبارها كيانا جامدا ينبذ كل جديد . لقد علموا أن الاشتقاق في العربية ميزة كبرى تعطى مرونة تتسع معها لمزيد من القدرة على التعبير عن كثير مما لم تنص عليه القواميس في لغة العرب ، وأن التعريب قد استعمله العرب الأوائل كما استعمله القرآن الكريم . وأن اللغة العربية ليست من ضيق الصدر بحيث تأبى أن تزيد غنى وثروة بما تهضمه من مفردات لا تغير من أصالتها ولا تحيلها إلى لغة أخرى لا تمت إلى لغة الاجداد إلا بصلة واهية.

إننا في دراسة استعمال اللغة العربية أداة للتدريس في جامعاتنا نضيق بين التزمتم المفرط الذي يأبى ادراك الضرورة القاهرة التي نواجهها لتقبل كثير مما تجمع أمام جامعاتنا من المصطلحات العلمية الحديثة والذي يأبى إلا ارجاع كل مصطلح مهما بلغ شيوعه إلى أصل قديم نصا وروحا ، وبين التساهل المفرط الذي يجعل من لغتنا لغة شوهاء بما يتحمسه فيها من مصطلحات وتعبيرات ، غير مدرك إمكانات لغتنا الواسعة وما يمكن أن تسهم به في هذا المجال.

وعدم اتفاقنا على استعمال اللغة العربية في جامعاتنا من جهة ، ثم اختلافنا من جهة أخرى على الأسلوب الذي يجب اتباعه في الترجمة والتعريب والتوليد ، أنتج مجهودات مبعثرة غير منسقة للمصطلحات العلمية التي تستعمل في الجامعات العربية ، واستحدث أكثر من اسم واحد للمصطلح الواحد مما سيضاعف متاعنا مستقبلا ، إذ أننا سوف نعمل على توحيد المصطلحات العربية إلى جانب تعريب المصطلحات الأجنبية .

وهنا تجدر الإشارة إلى واجبات الجامع العلمية العربية في هذا الميدان الهام ، وإلى الآمال المعلقة على المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي .

إن اتفاق جامعاتنا على استعمال مصطلح

واحد سواء كان عربيا او معربا او مولدا او مترجما
يخطو بنا خطوة هامة نحو توحيد ادراك المعارف في
المجالات العلمية في الوطن العربي .

هذا وان دعوتنا لاستعمال اللغة العربية اداة
للتدريس في الجامعات يجب ان تكون **مقرونة**
باهتمامنا بتحديد مدلولات المصطلحات العلمية وتوضيح
مفهومها العلمي ، والاتفاق على اسلوب موحد للعمل
العربي بالنسبة لما طرا على العربية من هذه
المصطلحات ثم بالنسبة لما سيجد عليها منها في
المستقبل ...

ودعوتنا هذه يجب ان لا تكون دعوة تعصب
تغشى عيوننا عن كثير من الحقائق الواضحة ، فان

من اول ما يجب ان ندركه اننا ما زلنا متخلفين في
ميادين العلم التطبيقي واننا يعوزنا الطويل من الوقت
والكثير من الجهد حتى نلحق بالمتقدمين علينا ،
وان جل المراجع العلمية قد كتبت بلغات اجنبية ، ومن
ثم لابد للمعلم ولطالب العلم من ان يكون تادرا على
الاطلاع على تلك المراجع ، وعلينا ان نعنى بأن تكون
لغة اجنبية واحدة على الاقل سبيلا لطلاب العلم العرب
الى المراجع الفنية بالمادة العلمية ، ولذا فانه يلزم
ان يواكب اهتمامنا بجعل اللغة العربية اداة التدريس
في جامعاتنا ، اهتمامنا باتقان لغة اجنبية حية او
اكثر ، واهتمامنا بترجمة المراجع العلمية القيمة الى
لغتنا العربية .

